أسئلة يطرحها المسلمون

تحتاج إلى أجوبة

بقلم : دِلّ كِنغزرايتر

جميع الحقوق محفوظة

1992

مقدمة

في كل رحلة أقوم بها إلى شتى أرجاء هذا العالم، وحتى في زياراتي لمناطق نائية لا تصلها وسائل الإعلام، ألقى جداراً يكاد يتعذر تصديق وجوده، قائماً بين المسلمين والمسيحيين. لقد ظل الطرفان على مدى القرون، واقفيْن على تلّتين منفصلتين، يصرخ أحدهما إلى الآخر عبر الوادي الفاصل بينهما، من غير أن يجرؤا على التقارب إلى الحد الذي يتيح لكل منهما أن يحقق بصدق في معتقدات الآخر. لم يستمع أيٌّ من الطرفين إلى نبضات قلب الطرف الآخر.

سيكون غير ذي جدوى أن ننحى باللائمة، في هذا الوضع، على أحداث الماضي أو حتى أحداث زمننا الحالي. فالواقع هو أن هنالك هذا الحاجز، أو تلك الهوة العميقة التي ينبغي علينا أن نردمها بجسرٍ من المحبة والتفاهم.

ولله الحمد على أننا نشهد تغيّراً سريعاً، آخذاً بالحدوث في هذه السنوات الأخيرة من القرن العشرين: إننا نرى المسيحيين والمسلمين قد شرعوا يهتمُّون لا بالخلافات بين معتقداتهم وحسب، بل وأيضاً ببعضهم البعض كأفراد خلقهم الله متساوين. وهذا تغيُّرٌ حسنٌ يقتضي منا التشجيع على كل مستوى ممكن.

في حواري مع المسيحيين، غالباً ما أستبين لديهم سوءَ فهم للمسلمين. أجد كثيراً من المسيحيين يخشون الدنوّ من المسلمين، أو يخشون أن يكون دنوُّهم منهم قد جاوز حدوداً معيَّنة؛ بل إنّ بعض المسيحيين يعتقد أنّ المسلمين جميعاً هم إرهابيُّون أو هم على نحو ما أناسٌ شريرون! أود هنا القول إنني وجدت أن المسلمين هم عادةً متدينون جداً.

كذلك في تحاوري مع المسلمين، ألفيتُهم في ذات الخوف والإرتياب

من المسيحيين؛ وإضافةً إلى ذلك، فإنهم يتوجّهون إلينا بعددٍ من أبرز الأسئلة الأساسية التي تحتاج منّا إلى أجوبة.

إنّ أحد مجالات العمل الذي نتولاه في (مركز الخدمة للمسلمين)، هو إدارة حلقاتٍ دراسيّة للتوعية عن الإسلام في بلدان مختلفة في أنحاء العالم كله. والغرض الرئيسيُّ لهذه الدراسات هو إقناع قادة الكنائس ورعاتها بالحاجة الملحّة إلى الصّلاة والدعاء من أجل المسلمين، وإلى محاولة فهمهم وبالتالي إدراك أنه يجب علينا أن نتصل معهم بالمحبة.

ولقد حثّني المديدون ممّن حضروا أحدث حلقاتنا الدراسية ـ وقد عُقدتْ في أحد أكبر الأقطار الإسلامية في جنوب آسيا ـ على أن أكتب حول بعض مناحي سوء التفاهم بين المسيحيين والمسلمين، وأن أقدم جواباً عن كل سؤال يُثار بسببها. وما أن بدأتُ في إعداد هذا الكتيب حتى تبيّنتْ لي ضرورة توجيه محتوياته إلى القادة المسيحيين وإلى أصدقائنا المسلمين على السواء.

إنها معضلاتٌ معقّدةٌ، ويتطلّب فحصها الشامل والنافذ وضع عدة مجلدات. بيد أننا في هذا الكتيّب لا يسعنا إلا أن نخدش سطح القضايا الرئيسيّة المطروحة للبحث. ولسوف نتعرّض فيه بايجازٍ لأسئلةٍ أساسيّة محددةٍ ألِفَ المسلمون توجيهها إلينا. وفي اعتقادنا أنّ ما يحتاج إليه المسيحيّون والمسلمون حقاً، هو أن يجلسوا معاً في إخلاص فيما بينهم وفي تضرع إلى الله، ليتناقشوا المسائل الحيويّة التي ينطوي عليها اختلافهم وسوء تفاهمهم.

وأسأل الله بدوري أن يكون ما أكتبه هنا حافزاً لإنجاز ذلك الهدف. إنني أدعوه تعالى أن يبلغ إخوتي المسيحيون الذين طلبوا الكتابة عن هذه المواضيع، وأصدقائي المسلمون الذين يسألون عنها مخلصين، تفاهماً أفضل فيما بينهم. كذلك أدعو أن نتمكن جميعاً وسويّةً من تحقيق فهمٍ أعمق لله، ولتدبيره سبحانه للجنس البشري بأسره.

الفصل الأول

هل حُرِّف الكتابُ المقدس؟

كلمةُ الله هي في غاية الأهميّة. وكلا المسلم والمسيحي يؤمنان أنّ الله قد بعث إلى الإنسان عبر العصور بتعليماتٍ ترشده كيف ينبغي أن يحيا وكيف يجد سبيلاً إلى جنّة النعيم.

يؤمن المسيحيُ أنّ الله قد تكلّم إلى الناس من خلال روحه القدُوس، وكتبوا هم ما أوحى به روح الله إليهم. يقول الرسول بولس: **«كل الكتاب هو موحى به من الله، وهو نافع لتعليم الحق، وتوبيخ الضلال، وتصحيح الخطأ، والإرشاد إلى الصلاح»** (الإنجيل، ٢ تيموثاوس ١٦:٣).

نرى إذنْ أنّ الكتاب المقدس ذاته يوضح لنا أنّ الله تعالى قد وهب هذا الكتاب لرجال أتقياء كانوا مطيعين للروح القدوس، وقد كتبوا مثلما «تنفّس» عليهم روح الله (الإنجيل، ٢ بطرس ١٩:١-٢١).

ومن ناحية أخرى، قال محمدٌ ان القرآن قد منحه إيّاه الملاك جبريل، تماماً كما كان مسجّلاً ومحفوظاً في «أمّ الكتاب لدى عرشِ

الله». ويؤمن المسلمون أنّ القرآن ـ ومعناه التلاوة ـ هو ختام الوحي من الله إلى الإنسان وهو المهيمن على كل ما سبق الوحي به.
بينما يؤمن المسيحيون أنّ الكتاب المقدس، الذي كان قد جاء قبل القرآن بعدة قرون ـ ويضم التوارة والزبور وكتابات الأنبياء والإنجيل ـ هو كلمة الله الكاملة، وهو قاعدة الإيمان وقانون ممارسته لجميع الناس. والكتاب المقدس عينه يذكر أنه الوحي النهائي من الله إلى الإنسان (الإنجيل، رؤيا ٢٢:١٨-١٩).

من المفيد أنْ نعلم أنّ محمداً قد اعتقد جازماً بصحّة الكتاب المقدس، كما كان هذا الكتاب موجوداً في أيامه. ويحتوى القرآن على عدة آياتٍ تدلُّ على ثقة محمدٍ بالكتاب المقدس الذي كان قد ورد قبله. وأستشهد هنا بآيتين فقط:
١ـ **«قل يا أهل الكتاب لستم على شيءٍ حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أُنزل إليكم من ربكم»** (سورة المائدة، الآية ٧١).
٢ـ **«وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون»** (سورة الأنبياء، الآية ٧).

يقول الدكتور **أكبر حق**، في كتابه (**مشاركة مسلم في إيمانك**): «نظراً لتعليم القرآن الجليّ حول صحة الكتاب المقدس وخلوه من التحريف، لا غرابة في أن فقهاء الإسلام الأوائل وكثيرين من علمائه الذين وفدوا من بعدهم، قد رفضوا أن يحملوا رأياً مناقضاً لذلك التعليم. ولقد تعزز موقفهم بالآية القرآنية التالية: **وتمّت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدّل لكلمته وهو السميع العليم** ـ سورة الأنعام، الآية ١١٥.
"ومرة أخرى نقرأ: **لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم** ـ سورة يونس، الآية ٦٤."
بوسع المسيحيين أن يقولوا لذلك، آمين! (وأضيف هنا هذه الفقرة الإعتراضية: أرجو ملاحظة أنّ لجوء المؤلف إلى الإستشهاد بالقرآن لا يعني أنّ المسيحيين يقبلون به كمرجع ثقةٍ لهم. ولكن ما دام المسلمون يعتبرون القرآن موثوقاً، فحريٌّ بهم أن يرضوا بالشهادة التي أعطاها لأصالة الكتاب المقدس أو عيسى المسيح.)

واضعاً هذا نصب عينيه، يجدر بالمسيحيّ أنْ يسأل صديقه

المسلم، إذا كان محمدٌ قد صدّق بصحّة الكتاب المقدس، وإذا كان العلماء المسلمون لم يشككوا في صحته، إذنْ متى حُرّفَ هذا الكتاب؟ إن مخطوطات العهد القديم والعهد الجديد ـ قسمي الكتاب المقدس ـ التي يعود تاريخها إلى مئات السنين قبل محمد، قد أودعت المتاحف حيث هي مازالت سليمة. وتوفّر هذه المخطوطات تصديقاً لمضمون الكتاب المقدس.

ربما يود المسيحي أن يضع سؤاله إلى المسلم بالصيغة التالية: إذا كان الكتاب المقدس حُرّف، فهل جرى تحريفه قبل أو بعد حياة محمد؟

إنْ أجاب المسلم: «قبل»، سيكون في مأزق لأنه بهذا الجواب إنما هو يتّهم محمداً بأنه كان معلماً كاذباً؛ إذ أن القرآن، الذي يعتبره المسلم كلمة الله الحرفيّة، يشير بوضوح إلى أن الكتاب المقدس هو كلمة الله وأنه يجب اتباعه وطاعته، كما سبق ولاحظنا.

وإذا ردّ المسلم بقوله: «بعد»، سيكون أيضاً في ورطة كبيرة، لأنّ الكتاب المقدس قد تُرجم إلى عدة لغاتٍ ووُزع على نطاقٍ واسعٍ في بقاع العالم.

ويستطيع المسيحي عندئذٍ أن يطرح سلسلةً من الأسئلة المشروعة: مَن حرّف هذا الكتاب؟ متى وقع فيه التغيير؟ كيف أمكن وقوعه؟ ماذا كان قد ورد في الكتاب قبل تغييره؟ هل سجّل التاريخ حدثاً كهذا، حيث عقد فيه كلُّ زعماء الجماعات والطوائف المسيحية واليهودية في العالم مؤتمراً اتفقوا خلاله على إعادة كتابة الكتاب المقدس؟

ولكنّ المسيحيين يحبُّون كتابهم، ولن يقبلوا أبداً بأية محاولةٍ لتبديله. وفي الواقع، يَعدُ الإنجيلُ ذاتُه كلَّ مَن يحاول تغييره بأقصى العقوبة. كذلك يحبُّ اليهود كتابهم، ولن يتعاونوا مع المسيحيين أو مع أيٍ كان في أية محاولةٍ لتحريفه.

إكتشافات أثريّة

من المهمّ أيضاً أنْ نلاحظ أنّ الإكتشافات الأثريّة في سنوات قريبة العهد، قد أزاحت السّتار عن مخطوطاتٍ قديمةٍ يرجع تاريخها إلى ما

قبل ألفي عام. وتتضمّن هذه المخطوطات أجزاءً من كل كتاب في العهد القديم باستثناء كتاب (استير)، إضافةً إلى كتاب اشعياء بكاملة. وتدلُّ جميعها على عدم حدوث تبديلاتٍ رئيسيةٍ في الكتاب المقدس كما نعرفه اليوم.

بيد أنّ أكثر الأجوبة إقناعاً، في معرض الردّ على السؤال عن تبديل كلمة الله، يتعيّن أن يأتي من الله العلّيّ نفسه. ونحن نقرأ في الإنجيل، متى ٢٤:٣٥ أنه سبحانه يقول: **«السماء والأرض تزولان، أمّا كلامي فلا يزول»**.

إنّ كلمةَ الله أزليّةٌ، ولن يأذن جلّ جلاله أبداً أن تُبَدّلَ كلمتُهُ القدسيّة. ولكَم هو في غاية الأهمية أن نقرأ ونطيع كتبه المقدسة وأن نتقبّلها ككلمته الطاهرة: **«واقبلوا بوداعةٍ كلمة الله التي زرعها في قلوبكم، فهي قادرة أن تنقذكم»** (الإنجيل، يعقوب ١:٢١)، **«فإنك منذ كنت طفلاً تعرف كتاب الله الذي يجعلك حكيماً لتنال النجاة بالإيمان بعيسى المسيح»** (الإنجيل، ٢ تيموثاوس ٣:١٥).

ماذا عن الترجمات المتباينة ؟

كان معظم العهد القديم قد كُتِب أصلاً باللغة العبرية، وبعض أقسام منه باللغة الآرامية. أمّا العهد الجديد فكان قد كُتِب باليونانية. ولا تزال مخطوطات عديدة من كل منهما موجودة بهذه اللغات. وإذْ أخذ إنجيل عيسى ينتشر في بلدانٍ شتى، بدأت ترجمة الكتاب المقدس بكامله إلى لغات تلك البلدان.

وربما اختلط الأمر على بعض المسلمين من تعدّد هذه الترجمات، ولكن بميسورنا أنْ نقدم لهم إيضاحاً ملائماً، مثاله أنه توجد باللغة الإنكليزية ترجمة الملك جيمس، التي يعود تاريخها إلى العام ١٦١١ م، وما برح استعمالها واسعاً إلى يومنا هذا. إلا أنه منذ ذلك التاريخ تغيّرت لغة القوم، فتمّ طبع ترجمات منقحة تسهّل لهم قراءة الكتاب المقدس. وبما أن هذه الترجمات قد استندتْ إلى الوثائق الأصلية، فلا تغاير بينها في المعنى.

كذلك بوسع المسيحي القول انّ هنالك ترجمات متعددة للقرآن أيضاً، قد اضطلع بها ثقاة مختلفون؛ وهي تتباين في بعض نواحيها. إني أملك في مكتبتي عدة نسخ لترجماتٍ من وضع داوود، ويوسف علي، وأربري، وبكثال؛ وكل منها تختلف عن الأخرى نوعاً ما، مع أنها جميعها قد التزمت الوفاء للمعنى الأصلي الوارد في لغة القرآن العربية.

الفصل الثاني

لماذا يعبد المسيحيون آلهةً ثلاثة؟

لكي يفهم المسيحيون لماذا يُطرَحُ هذا السؤال، مراراً وتكراراً، يتحتّم عليهم أن يعرفوا جانباً من تاريخ نشوء الإسلام.

مع حلول القرن الميلاديّ السابع، كانت الكنيسة المسيحية، خاصةً في شبه الجزيرة العربية، قد انجرفت بعيداً عن نقاء العقيدة وحيويّة الروح. كذلك سيطر الشّرك وعبادة الأصنام على الوثنيين من سكان شبه الجزيرة العربية، الأمر الذي أغضب محمداً؛ لذا نرى أنّ الدفع الأقوى لرسالته، أو محورها، هو وجوب عبادة الإله الحق وحده. وبناءً عليه، فإنّ مجرد اقتراح تجزيء الله أو القول أن أحداً ما يمكن أن يكون نداً له تعالى، إنما يعني للمسلم اقتراف إثم الشّرك، وهذا لديه أفدح الآثام إطلاقاً.

وكان بعض الذين يُدعَون مسيحيين ممّن عرفهم محمد، يمارسون

عبادة مريم. ولعلّ هذا الأمر عينه هو ما قاد المسلمين إلى الإعتقاد خطأً أنّ المسيحيين يؤمنون بالوهيّة مريم كعضو في الثالوث الأقدس. وجدير بالتنويه أن القرآن يذكر عيسى دائماً أنه ابن مريم، فعلى سبيل المثال يرد القول الآتي في الآية ١٧١ من سورة النساء: **«يا أهل الكتاب .... إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته»**.

يعلن المسلمون والمسيحيون واليهود، كلٌ في عقيدته، أنهم يعبدون الإله الحق وحده، فاطر الكون وحاكمه وديّانه، الذي أظهر نفسه لآدم ونوح وابراهيم وموسى ولسائر الأنبياء. إنّ وحدة الله هي جوهرية في هذه العقائد، بيد أنّ المسلمين واليهود يشعرون أن المسيحيين ساوموا على الإيمان الوحدوي بمذهب التثليث.

ويحتاج المسيحيون إلى أن يعوا عمق وإخلاص هذا الشعور لدى المسلمين. لا مراء في أنه تقوم خلافات عديدة في النظام العقائدي بين مسلمي العالم، لكن إيمانهم بشهادة «أن لا إله إلا الله» هو إيمان يمارسه جميعهم أينما وُجدوا في أنحاء العالم قاطبة. ولم يضعف تركيزهم على هذه الشهادة طيلة ثلاثة عشر قرناً من الزمن.

في الردّ على أسئلة المسلمين، ينبغي على كل منّا أن يعي أنّ محاولة فهم الثالوث الأقدس من خلال المنطق البشريّ هي محاولة عابثة. لا يمكن لبشر محدودين أن يدركوا إلهاً غير محدود. ويقرُّ المسلمون تلقائياً بأنّ الله هو وراء نطاق العقل البشري. الله كائنٌ فوق الوجود الماديّ ولا يُسبَرُ غوره. أو كما ذكر مسلم، «لا يمكن إدراك الله، وهو تعالى يدركنا، إنما نحن عبيده، ولنا فقط امتياز عبادته في مخافةٍ منه عزّ وجل».

حين ناقشتُ موضوع التّثليث ذات مرة مع عالم مسلم، قلتُ له: «هل توافق على أن الله قادرٌ وعظيمٌ إلى حد أنه لو شاء لكشف عن نفسه للإنسان في مئة طريقة مختلفة؟» فأجاب صديقي بالإيجاب. ثم تابعتُ القول له: «إذنْ دعنا يا صديقي، رغم غموض التثليث، نقرّ بواسطة الإيمان أنّ الله الذي هو واحدٌ، هو أيضا ثلاثة في واحد!» إنّ الإيمان بكلمة الله هو أساس الموضوع.

كتبت **آن كوبر** في مؤلّفها **(في عائلة إبراهيم)**: «ثمّة هبةٌ ثمينةٌ

في قدرة الناس على أن يعلّلوا الأشياء تعليلاً منطقياً. وهذه القدرة هي من العوامل الرئيسية التي تميّزنا عن الحيوانات. وهي في الوقت ذاته إمكانية لها معايير يتحتّم علينا أن نتقيّد بها. من المسلّم به أنه يتعذر على الإنسان أن يشرح نفسه؛ فليس بوسعه أن يفسّر لغز طبيعته الثلاثيّة: كيف يتفاعل جسمه وعقله وروحه لتشكل معاً وحدة متكاملة. إذنْ كيف يجسر هذا الإنسان على تحليل طبيعة القوة العظمى التي هي وراء متناوله وفوق مداركه إلى حدود لا نهاية لها؟ يتوجّب علينا والحال هذه، أنْ ننبذ أيّ مسعى للبرهان على ألغازٍ وأسرار دينيةٍ عن طريق العقل.» (ص ٨٦)

يقول الإنجيل: **«يا لعظمة غنى الله! وحكمته وعلمه! مَن يفهم مقاصده؟ ومَن يعرف طرقه؟ مَن عرف فكر الربّ؟ ومَن كان مشيراً له؟»** (روما ١١:٣٣-٣٤).

«بلا شك، عظيم هو سرُّ ديننا: جاء الله في جسم بشر، شهد الروح أنه صالح، شاهدته الملائكة، نادى به أتباعه بين الشعوب، آمن به الناس في العالم، رفعه الله إليه بجلال» (١ تيموثاوس ٣:١٦).

لقد أثبتنا في الفصل الأول من هذا المؤلّف، أنّ الكتاب المقدس هو كلمة الله التي لا تتبدل. ونحتاج الآن إلى أن نتفحص بعناية فائقة ما يقوله الكتاب المقدس، لكي نصل إلى الجواب عن السؤال الذي نحن بصدده.

قال المسيح نفسه إنّ أولى الوصايا هي: **«الربُّ إلهنا هو الربُّ الأحد»** (الإنجيل، مرقس ١٢:٢٩). فلكي يكون المرء تابعاً لعيسى المسيح، لا بدّ له من أن يؤمن بوحدة الله.

وقال الله تعالى على لسان نبيّه اشعياء: **«أنا الربُّ وليس آخر. لا إله سواي»** (العهد القديم، اشعياء ٤٥:٥). يجب على كل تابع للمسيح عيسى أن يؤمن بوحدة الله، وإلاّ ما كان تابعاً له حقاً. وفكرة أنّ الله جل وعلا أقام علاقةً جسديّةً مع مريم وأنجب منها ولداً، إنما هي فكرة بذاتها يبغضها المسيحيون بغضاً مطلقاً.

ومن ناحية أخرى، لقد حصل أتباع عيسى على معرفة أنّ اللهَ هو: (١) أبٌ سماويٌ محبٌ للبشر، (٢) ومنقذٌ فادٍ يُري الناسَ الطريقَ إلى الله، (٣) وروحٌ مشجّعٌ يهب الناسَ عزاءً وهدايةً وقوة في هذه الحياة.

وإذا كنا نودُ أنْ نجيب بجدارة عن هذا السؤال: «لماذا يعبد المسيحيون آلهةً ثلاثة؟» لَتحتّم علينا أنْ نحاول فهم مَن هو الله. يتفق المسلمون والمسيحيون على أنه ما من امرئ رأى الله تعالى. قد يكون مسلّياً، لو لم يكن فاجعاً، أنْ نستمع إلى أولئك الناس الذين لا يستطيعون وضع الله سبحانه في أنبوب اختبار ويحلّلونه فيه، يعلنون أنّ الله لا وجود له أو «الله ميت»! يا لحماقتهم! يقول داوود في مزموره ١٤:٥٣: **«قال الجاهل في قلبه ليس إلٰه»**. إنما مبتغى الحياة الحقيقيُ هو إدراك كُنْه طبيعة الله، ثم العثور على السبيل المفضي إلى معرفته تعالى معرفة شخصيّة وحميمة.

كان اشعياء واحداً من أنبياء عديدين تكلموا على مجيء عيسى وما يعنيه مجيؤه لمساعدة الناس على إدراك مَن هو الله. قال في سفره، اشعياء ١٤:٧: **«ولكن يعطيكم السيد نفسه آية. ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل»**. ومعنى الإسم عمانوئيل هو «الله معنا» أو «الله قد ظهر لنا».

هكذا نسأل: "مَن هو الله؟" ولابدّ لنا من الإجابة بأنه سبحانه وتعالى لا يمكن فهمه ومعرفته ولا الوصول إليه منفصلاً عن عيسى، الذي كان قد أُرسِل للناس كعمانوئيل أو «الله قد ظهر لنا». وهذا ما يفسر لنا ردّ عيسى على تلاميذه لما سألوه كيف يجدون الطريق إلى الله ـ ولنذكر أنّ هذا هو السؤال الجوهري والنهائي للجنس البشري ـ : **«أنا هو الطريق، أنا هو الحق، أنا هو الحياة. لا يقدر أحد أن يأتي إلى الأب إلاّ بواسطتي»** (الإنجيل، يوحنا ٦:١٤).

من هنا أنّ التابع لعيسى إذْ يردُ على السؤال «مَن هو الله أو كيف هو يبدو؟» لَيعرب عن عقيدته في أن المرء لا يستطيع حقاً أن يعرف الله إلا إذا عرف عمانوئيل أولاً. عمانوئيل هو الذي يعرّف البشرَ بابِ سماوي

صفته العظمى هي المحبّة. وعمانوئيل هو الذي يبدي هذه المحبّة، رغم أنها لا يُسبَرُ غورها. إنّ عمانوئيل وحده هو بلا إثم، فما من إنسان عداه على الإطلاق لم يأثم. وهو يملك السلطانَ فوقَ كل المرض، بل وحتى فوق الموت؛ وما من رجل في تاريخ العالم مَلك هذه القوة. وهو أيضاً لديه القدرة على أن يغفر الذنوب، بينما لم يجرؤ امرىء حتى على أن يدّعي أنه يجوز على مثل هذه القدرة. هكذا تتوفّر لنا، من خلال عمانوئيل، بيّنةٌ أو شهادةٌ موثوقةٌ على مَن هو الله.

ويقودنا هذا إلى سؤالٍ آخر.

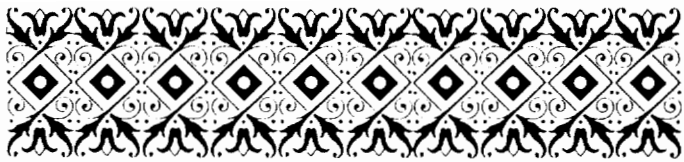

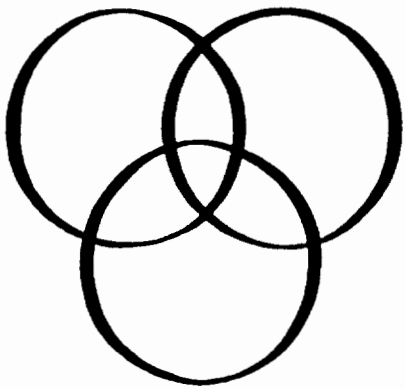

الفصل الثالث

مَن هو حقاً المسيح عيسى؟

كلا القرآن والكتاب المقدس يتحدثان عن ولادة عيسى الأعجوبيّة. وكان النبيُّ اشعياء قد تنبأ ٧٠٠ سنة قبل هذه الولادة بأن عيسى سيولَدُ من عذراء (اشعياء ١٤:٧).

تروي لنا سورة آل عمران من القرآن، الآية ٤٧، وكتاب لوقا من الإنجيل، ٣٤:١-٣٥، كيف ظهر الملاك لمريم وأبلغها بالولادة المعجزة.

ويمضي اشعياء في حديثه عن حياة عيسى المدهشة فيقول: **«لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابناً وتكون الرياسة على كتفه ويُدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام. لنُمو رياسته وللسلام لا نهاية على كرسي داوود وعلى مملكته ليثبتَها ويعضدها بالحق والبِرّ من الآن إلى الأبد. غيرة ربّ الجنودِ تصنع هذا»** (اشعياء ٦:٩-٧).

كذلك ينوه القرآن والإنجيل بإسهابٍ عن حياة عيسى الخالية من الذنوب، ومقدرته على شفاء المرضى.

ربما كان أعمق اختلافين بين المسلمين والمسيحيين كامنيْن في فهمهم لِمَن هو المسيح عيسى ولِما كان عمله العظيم على الأرض. أولاً، لقد كان عيسى هو عمانوئيل، «الله معنا» .. وثانياً، كان عمله الضخم والنبيل هو تزويد الإنسان بسبيل النّجاة؛ كان قد صُلِب ثم قام من القبر في اليوم الثالث.

وفيما يخص السؤال الأول، يشير كلٌ من القرآن والإنجيل إلى عيسى أنه كلمة الله. نقرأ في سورة النساء، الآية ١٧١: «**إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه**»، وفي سورة آل عمران الآية ٤٥: «**وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم**».
كذلك نقرأ في الإنجيل، يوحنا ١:١-٢: «**في البدء كان الكلمةُ. وكان الكلمة مع الله. والكلمة هو الله، وقد كان في البدء مع الله**». إذنْ يُعتَبر عيسى كلمةَ الله، في كلا القرآن والإنجيل.

حتى يدرك أحدنا فعلاً مَن هو عيسى، ينبغي عليه أن يدرس الأصحاحات العشرة الأولى من رسالة بولس إلى العبرانيين، التي هي جزء من العهد الجديد. ويقدّمنا أول عدديْن (آيتيْن) من الأصحاح الأول من هذه الرسالة، تقديماً بليغاً ومحكماً، إلى الله كما ظهر في المسيح عيسى: «**الله كلّم آباءنا في قديم الزمان مرات كثيرة بواسطة الأنبياء وبطرق متنوّعة. ولكنه في هذه الأيام الأخيرة، كلّمنا بواسطة ابنه الذي جعله مالكاً لكل شيءٍ، والذي بواسطته خلق الكونَ كله**» (الإنجيل، الرسالة إلى العبرانيين ١:١-٢).

لقد تحرّينا بإيجاز مَن هو الله ووجدنا أنه لا يمكن فهمه ومعرفته ولا الوصول إليه إذا فُصِلَ عن عيسى المسيح الذي هو عمانوئيل، اسمٌ معناه «الله قد ظهر لنا». كذلك عرّفنا ــ مَن يحتاجون إلى تعريف ــ بمَن هو عيسى. وقبل أن نترك موضوع الثالوث الأقدس، نحتاج إلى أن نحاول فهم مَن هو الأقنومُ الثالث، أو ظهورُ اللهِ الثالثُ للإنسان.

الفصل الرابع

مَن هو الروح القدوس؟

لا بدّ لنا من أن نسأل ثانيةً: مَن يستطيع أن يدرك أسرار الله، وكيف أو لماذا يُظهِرُ تعالى نفسَهُ في أقنوم الروح القدوس؟ وفي محاولتنا لأن نفهم هذا، لا يسعنا إلا أن نعود مرة أخرى إلى كلمة الله الأزليّة.

لقد اضطرب تلاميذ عيسى عندما أخبرهم أنّ حياته على الأرض على وشك الإنتهاء وأنه سيرجع إلى السماء. نطالع في الإنجيل، يوحنا ١٤: ١: **«لا تضطرب قلوبكم. آمنوا بالله فتؤمنوا أيضاً بي»**، وفي يوحنا ١٤: ١٦: **«وأنا اسأل الأبَ، فيعطيكم مُعيناً آخر يبقى معكم إلى الأبد»**.

فكّرْ معي للحظة كيف وصف عيسى الشخصَ (أو الأقنوم) الذي كان سيرسله اللهُ، والعَملَ الذي كان سيؤديه هذا المبعوث. نذكر قبل كل شيءٍ أنّ الكلمة اليونانية المستخدمة في هذا الوصف هي «براكليتُس»

ومعناها: الْمُعَزّي، أو النّاصح، أو المُعين. وكما لاحظنا، ورد في يوحنا ١٦:١٤ هذا القول: **«يبقى معكم إلى الأبد»**. إنّ الروح القدوس وحده يمكنه البقاء معنا إلى الأبد. فبينما يتحتم الموت على الإنسان، لا يخضع روح الله لنهاية، لأنه سرمديٌّ. نقرأ مرة أخرى، في يوحنا ١٧:١٤: **«ذلك هو روح الحقّ الذي لا يقبله أهل الدنيا لأنهم لا يرونه، ولا يعرفونه. أنتم تعرفونه لأنه معكم، وسيكون فيكم»**.

من المحال أنّ المعزّي الذي تنبأ عيسى بقدومه، كان رجلاً؛ لأنّ العالم بميسوره أن يعرف إنساناً، لكنه لا تتيسّر له معرفة روح الله. ونحن إذْ نعيد قراءة هذه الكلمات: "روح الحق... سيكون فيكم»، لَيتبيّن لنا بالتأكيد أنّ عيسى لم يكن يتنبّأ بمجيء رجلٍ، بل كان يعلن عن قدوم روح الله القدوس.

ولقد أحدث بعض المسلمين بلبلةً في هذا الموضوع حين أقحموا الكلمة اليونانية «براكلوتُس»، التي تعني أحمد، في مكان الكلمة «براكليتُس». والكلمة أحمد تُستعمل أحياناً كبديل لاسم محمد؛ إلا أنها لم توجد في المخطوطات اليونانية الأصلية للإنجيل، أو العهد الجديد.

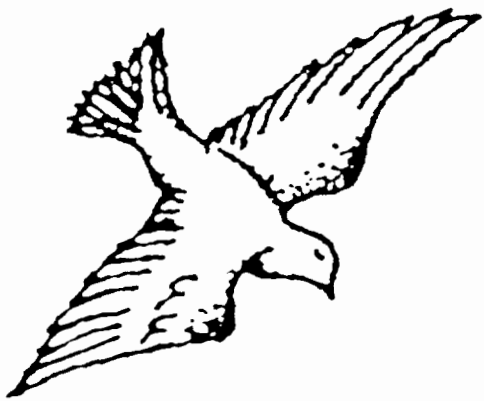

الفصل الخامس

هل هنالك حقاً إلٰهٌ ثالوثي؟

اللهُ هو واحدٌ، وواحدٌ فقط، لكنه كائنٌ أزلياً في ثالوث، وهذا لغز؛ بيد أنّ الكتاب المقدس يعلن أنّ اللغز يصبح حقيقة جليّة للذين، بإيمان، يقبلون الله في ظهوره العظيم للإنسان ... وأود في ختام البحث في هذه المسألة البالغة الأهمية بشأن كُنه الله، أن أقتبس من كتابات عالمين لاهوتيّين هما ريتشارد ستارك وكريستوفر غورنود سميث.

يقول ستارك:

«يوجد ويمكن أن يكون إلٰه واحد فقط. والمسيحيون هم على يقين مطلق من ذلك، بقدر ما هم المسلمون على هذا اليقين. وليس في الإمكان أن يُقارَن به أي كائن آخر من أية وجهة. فهو سرمدي غير محدود، بينما كل مَن وما عداه هو مخلوق ومحدود. وأبعد الجميع عن المقارنة به هم البشر، لأنه تعالى كامل العدل والمحبّة وكلّيُّ الرحمة والخير، في حين أنّ الناس، حتى القديسين والأنبياء منهم، هم خاطئون.

إذنْ لماذا يؤكد المسيحيون على أنّ المسيح عيسى والروح القدوس هما سماويان (ذوا جوهر إلهي)؟ لا بد أنّ لديهم أسباباً قوية جداً تحدوهم إلى اتخاذ هذا الموقف الشديد الغرابة.

«فلنبدأ بالروح القدوس، إذ قد يكون أيسر لنا أن نفهم المعتقدات المسيحية حوله. يتكلم الكتاب المقدس على روح الله (وكذلك يفعل القرآن) كحقيقة شخصية وكقوة، بل وأكثر من ذلك أنّ الله يرسل هذه الحقيقة الشخصية والقوة لتلهم أو توحي إلى أنبيائه وشعبه. لكنه هو روح الله، ولا يمكن أن يكون روح الله كائناً متميّزاً خلقه الله مثلما خلق روح إنسان أو ملاك. إنّ روح الإنسان ليست شيئاً منفصلاً عن الإنسان نفسه؛ يستطيع أن يصنعه أو لا يصنعه. إنها جزءٌ من ذات كينونة الإنسان، غير أنها ليست كل كينونته. كذلك هو الأمر مع روح الله. يتحتم أن يكون هذا الروح إلهياً حقاً، لا كائناً مخلوقا. ولا يمكنه أن يكون إلهاً ثانياً، فلا وجود البتّة لشيء كهذا. يجب أن يكون، بطريقة ما، جزءاً من الله الأحد، أو مظهراً أو صفةً له تعالى. إنه هو الله، ومع ذلك فهو لا يستحوذ على كل المعنى لاسم الله.

«لنعتبر إذنْ ما يقوله الكتاب المقدس عن عيسى. لقد اعترف الناس به نبياً في زمانه، ورضي هو بهذا اللقب. ولو كان ذلك كلّ ما في الأمر، لما قام إشكال حوله. لكنّ عيسى لم يتحدث عن وحي أتاه، كما حدث لأنبياء آخرين. وإنما تحدث عيسى وكأنه هو مصدر الوحي، بل وأيضاً هو الموضوع الموحى به. لم يحذر عيسى الناسَ من يوم الدين وحسب، مثلما فعل غيره من الأنبياء، بل قال أيضاً انه هو نفسه سيكون القاضي الديّان في يوم الحساب. وأهمُّ من كل ما سواه، كان قول عيسى انه قد جاء ليفعل شيئاً لم يكن في نطاق فعل أي نبي آخر: جاء ليبذل حياته فداءً لأناس كثيرين، ليُرفَعَ على صليب ومنه يجتذب إليه الناس جميعا. ولقد وصف الرسول بطرس هذا الحدث بكلمات مأخوذة من نبوءات العهد القديم: **كان عيسى هو حامل ذنوبنا كلها**. (راجع الإنجيل، ١ بطرس ٢:٢٤).

«لكن تلك هي أشياء الله وحده يستطيع فعلها. يمكن لنبي أن يكشف عما أوحى به الله إليه، وأن يتكلم كرسول من عنده تعالى وكممثلٍ له؛ بيد أنه ليس بميسوره أن يتكلم وكأنه هو نفسه صاحب

السُلْطة . أمّا عيسى فقد تحدث على نحو أفاد أنه هو مالك السلطة فعلاً. ويمكن للنبي أن ينذر الناس بالحساب الآتي، لكن الله هو وحده الذي في مقدوره حقاً أن يحاسبهم، لأنه وحده سبحانه يعلم ما في داخل قلوبهم. وما من كائن مخلوق يسعه أن يفدي البشر الخاطئين أمام الله، أو يحمل ذنوبهم؛ ولن يعاقب الله أبداً أي بريء، كما لن يستفيد المذنب من عقاب البريء إذا ما وقع. إنّما سيتبدل الوضع برمته إذا أخذ الله عنّا بنفسه عبء تمردنا وتحمّل ألم إثمنا.

«كما ذكر مرةً كاتب مسيحي، توجد ثلاثة حواجز ضخمة بين الله وبين الجنس البشري. أولها حاجز الطبيعة: الله وحده هو الإله، ونحن مجرد بشر. وثانيها حاجز الذنب: الله صالح، ونحن لسنا صالحين. وأمّا ثالثها فهو حاجز الموت: الله أزلي، ونحن زائلون. لا يمكن لأي منّا أن يخترق أو يحطم أياً من هذه الحواجز؛ بينما الله القهار القدير يمكنه اختراقها وتحطيمها جميعاً، وهو قد فعل ذلك تماما. لقد هدم الحاجز الأول عندما اتخذ لنفسه الطبيعة البشرية، وقوّض الحاجز الثاني لمّا حمل عنا آثامنا، ثم حطم الحاجز الثالث بقيام عيسى من الموت.

«ومع ذلك، لم يكن عيسى هو كل الله؛ لقد تكلم حقاً عن وإلى الله. ومن هنا نبدو مدفوعين، كما جرى لنا مع الروح القدوس، إلى أن نشير إلى عيسى أنه جزءٌ من الله أو هيئة أو صفة له جل جلاله؛ ليس ككائنٍ أدنى، ولا كإلهٍ ثانٍ، بل كجزءٍ حقيقي من الله الأحد.

«ما نوع اللغة التي يتعيّن علينا استخدامها في الإشارة إليه؟ مراراً وعلى نحو مألوف، وصف عيسى نفسُهُ اللهَ بأنه أبوه؛ ومن هنا بات دارجاً استعمال تعبير (الله الإبن) أو (ابن الله). وفي هذا التعبير ضرر بالغ واحد، إذ قد يقترح على الوثنيين فكرةً مماثلة لما تحويه أساطيرهم، من أنّ إلهاً جاء إلى الأرض وانجب ابناً من امرأة بشريّة. وتتراءى هذه الفكرة تجديفية على حد سواء لكل من اليهود والمسيحيين والمسلمين. في الواقع، ثمة موضع واحد في الإنجيل ترتبط فيه (بنوّة) عيسى الإلهية بمولده على الأرض. وهذا الموضع، وهو العدد ٣٥ من الأصحاح الأول من لوقا، يذكر ببساطة حقيقةَ أنّ عيسى كان قد وُلِدَ بإرادة الله المباشرة، ومن عذراء، وبلا أبٍ بشري. أمّا المواضعُ الأخرى في

الإنجيل كله فإنها تبيّن بوضوح أنّ عيسى كان دائماً هو (الإبن) من الأزل، والأزليّة هي سمة من سمات الله الأحد.

«هنالك تعبيرٌ رئيسيٌّ آخر عن المسيح يرد في العهد الجديد وخاصةً في كتابات الرسول يوحنا، هو تعبير (كلمة الله) ـ من المفيد ذكره أنّ القرآن أيضاً يطلق هذا النعت على عيسى ـ إنّ كلمةً بشريةً ما هي شيء متميّز عن الناس الذين يستخدمونها، لسبب واحد هو أنّ أي عدد منهم قد يستخدم الكلمة عينها.

"لكنّ كلمة الله مختلفة، لأنها هي التعبير عن إرادته، ولا يمكن تمييزها عنه إلاّ كصفة أو مظهر له. وهي إلهيّةٌ تماماً كما هي روحه إلهيّة. وبما أن عيسى لم يأتِ لينجّينا وحسب، بل وليكشف لنا أيضاً عن حقيقة الله، ليُظهر محبّةَ الله في حياته هو بيننا كما في كلماته لنا، فإنّ مصطلح (كلمة الله) يبدو على وجه الخصوص ملائماً للدلالة على عيسى. فإنما من خلال الكلمات نستطيع أن يخبر أحدنا الآخر بالحقيقة.

«بناءً على ما تقدّم، شعر المسيحيون أنهم ملزَمون بأن يعترفوا بوجود ثلاثة مظاهر متباينة ضمن وحدة الله السرمدية: الأب، والإبن أو الكلمة، والروح القدوس. كل من هذه المظاهر الثلاثة تامُّ الألوهية، لكن ما من أحد منها، على حدة، يستنزف معنى الكلمة (الله). ومع أنه جرى التقليد في اللغة الإنكليزية على تسمية المظاهر الإلهية الثلاثة (أشخاصاً) إلا أنه لم يُقصَد من هذه التسمية أن تعني ثلاثة رجال مختلفين. لقد أُخِذت التسمية الإنكليزية، في الواقع، من أصل لاتيني يدلُّ في الغالب على (شخصية) أو (ميزة) أو حتى على (قناع)، وهي معانٍ قريبة جداً من المعنى السالف ذكره: مظهر أو هيئة.

"ليست المسألة بأي وجه من الوجوه مسألة إنكار وحدانية الله. إنما هي ببساطة مسألة الوفاء لحق ما كشفه الله عن ذاته في كلمات أنبيائه ورسله وفي أعمال كلمته وروحه».

وكتب **غورنولد سميث** حول التّثليث فقال:

«يحتاج المسلمون إلى أن يعرفوا أنّ عقيدة المسيحيين في التّثليث قد أُسيء فهمها. لا يؤمن المسيحيون بثلاثة آلهة. إذنْ بماذا هم يؤمنون؟

«قبل كل شيءٍ، يقرُّ المسيحيون بعظمة الكينونة الإلهية وغموضها الجوهري.

«قال القديس باسيل، وكان من كبار قادة الكنيسة المسيحية الأولى إنه لأيسر لنا أن نقيس المحيط كله بواسطة كوب صغير من أن ندرك عظمة الله بواسطة العقل البشري. يمكننا أن نقول عن الله أشياء نعلم صحتها لأن الله نفسه قد أبانها لنا. لكننا لو استطعنا أن نفهم تماماً كينونة الله وماهيّته، لتحتّم أن نكون في عظمة الله نفسه أو يكون سبحانه في ضآلتنا. وكلتا هاتين الفكرتين هما قطعاً مستحيلتان وتجديفيتان.

«ثانياً: يقرُّ المسيحيون أيضاً بسلطة عيسى الفريدة.

«يصف الإنجيل عيسى، في يوحنا ١:١-١٤، بأنه كلمة الله الحي. وجدير بالتنويه أنَّ المسلمين بدورهم يؤمنون أنَّ عيسى هو كلمة من الله. بينما أكتب الآن يحدث أنَّ أفكاري، التي هي جزء مني، تتجسّد في كلمات تعبّر عن تلك الأفكار. وحين تقرأ أنت كلماتي تعلم كيف أفكر؛ فإنَّ كلماتي هي أيضاً بعضٌ مني.

"تذكّرْ أنَّ كلمة الله كاملة؛ فلا وجود لنقص أو عيب في الله. وإذا كان عيسى هو كلمة الله الحي ـ ونحن نوافق على أنه كذلك ـ فهو إذن التعبير الكامل عن الله. تعاليمه كاملة، وحياته كاملة، وخلقه أيضا كامل. ويعطيه هذا الواقع سلطة فريدة. إننا نوافق على أن الله وحده كاملٌ، ومع ذلك فقد رأينا أن عيسى أيضاً كامل.

«ويمضي بنا الموضوع خطوةً أبعد: قلتُ إنَّ كلماتي هي جزءٌ مني؛ وإنْ كان عيسى هو كلمة الله الحي، فإذنْ يكون عيسى بمعنى ما غامضٍ جزءاً من الله. وسنتقصّى هذا المعنى فيما بعدُ.

«يتضمّن العهد الجديد بياناً مهماً بهذا الشأن: **الله كلم آباءنا في قديم الزمان مرات كثيرة بواسطة الأنبياء وبطرق متنوعة. ولكنه في هذه الأيام الأخيرة، كلّمنا بواسطة ابنه الذي جعله مالكاً لكلّ شيء، والذي بواسطته خلق الكون كله. فالإبن هو ضياءُ جلال اللهِ وصورة جوهره وضابط كلّ الأشياء بقوة كلمته** (عبرانيين ١:١-٣).

«تعطي هذه الآيات وصفاً لعيسى المسيح وفقاً لصلته بالله. وتأتي فيها تعبيرات ثلاثة: إبن، وضياء أو إشعاع، وتصوير أو رسم.

«حين يدعو المسيحيون عيسى ابنَ الله، لا يعنون أبداً أنّ الله عزّ وجلّ أقام نوعاً من علاقة جنسية مع مريم، ومن هذه العلاقة أنجَب عيسى ابناً له. سيكون هذا المعنى تجديفاً بقدر ما هو مقيت. ولقد قال عيسى نفسه: **الله روح** (الإنجيل، يوحنا ٤:٢٤). ويتضح بجلاء من الآيات الإنجيليّة في عبرانيين ١:٣-٣ أنّ الكلمة (الإبن) لا تدلّ على علاقةٍ جسديةٍ، إذ تذكر هذه الآيات أنّ **الإبن** كائنٌ قبل الكون المادي.

«ثمة مفتاح لحلّ هذا اللغز نجده في الكلمة الرئيسية التالية: إشعاع أو ضياء. إنّ عيسى هو ضياءُ جلال الله. وما يكونهُ الإشعاع لمصدر النور، يكونه المسيح عيسى لله. وأنتَ من خلال الإشعاع الذي يدخل عينيك تستطيع أن ترى مصدر النور؛ لكنك لا ترى المصدر من غير إشعاعه، كما لا يأتيك الإشعاع من غير المصدر. أي لا وجود لمصدر بلا إشعاع ولا وجود لإشعاع بلا مصدر. (وحتى هذا التشبيه يقف قاصراً أمام علاقة الأقانيم الثلاثة المتساوية في الجوهر.)

«الكلمة الثالثة هي رسم أو تصوير، أو تمثيل. لنتذكر هنا أنّ الكلمة الإنكليزية بهذا المعنى أصلها الكلمة اليونانية (كرَكْتر)، وهي معزوة إلى الدمغة أو الطبعة التي يحدثها خاتم في الشمع أو الطين. وفي العصور القديمة كان يتحتم ختم الوثائق إذا أريد لها أن تحمل نفوذاً. فالدمغ بالختم كان يمنح الوثائق علامة السلطة، وبالتالي كان يجعلها تتّسم بنفوذ صاحب الختم. وكانت قراءة إحدى هذه الوثائق تعادل مقابلة شخصية مع واضعها. وبما أنّ الرسم أو الدمغ كان يتشكل مباشرة من الخاتم، فقد كان كلاهما متطابقين في الهيئة. وكانت مشاهدة العلامة أو الطبعة تعني مشاهدة الخاتم ذاته. وأكيداً ما توفّر لعلامةٍ أن تكشف عن ختمٍ لو لم يوجد الختم.

«إنّ التعابير: ضياء ورسم وكلمة، تنقل أو تبلغ عن علاقة؛ لكنها لا تنقل وجوداً شخصياً واعيا. وأقرب تعبير نملكه في اللغة البشريّة ليدلّ على المراد هنا هو تعبير الإبن. ولا يمكن لإبن أن يوجَد من دون أب. كذلك قد يُتوقّع أنْ يشبه الإبن أباه، وأن يعرف الإبنُ فكرَ أبيه.

يستطيع الإبن أنْ يمثّل اباه رسمياً، ويبلغ رغباته. والإبن ايضاً هو شخص حيّ واعٍ.

"هل يدهشنا إذنْ أن يشير المسيح عيسى إلى الله كأب؟ قال عيسى: **مَن رآني فقد رأى الآبَ** (يوحنا ٩:١٤). كما قال: **أنا هو الطريق، أنا هو الحق، أنا هو الحياة. لا يقدر احدٌ أن يأتي إلى الآب إلا بواسطتي** (يوحنا ٦:١٤).

«ثالثاً: يؤمن المسيحيون بالروح القدوس.

«إذا قرأنا الإنجيل نجده يقرُّ بأن الروح القدوس هو روح الله نفسه. ولم يتحدث عيسى عن الروح القدوس كأنه ملاك (ولا حتى كأنه جبريل، كبير الملائكة) ولا كأنه نبيّ، وإنما كواحدٍ مثله هو في طبيعته، ومثل الله.

«يذكر الإنجيل، في يوحنا ١٦:١٤، قول عيسى: **وأنا أسأل الآب، فيعطيكم مُعيناً آخر يبقى معكم إلى الأبد، ذلك هو روح الحقّ**. الكلمة اليونانية المترجمة هنا (آخر) هي (ألوس) وتعني آخر من النوع عينه. فكان عيسى يقول انه كما هو والأب واحدٌ في الطبيعة الإلهية، كذلك الروح القدوس هو أيضاً من ذات الطبيعة.

«ما الفرق بين إنسان وروحه؟ وما هو الفرق بين الله وروحه؟ يجري في الكتاب المقدس استعمال هذين التعبيرين، الروح القدوس وروح الله، بالتناوب. فالروح القدوس هو الله. ونقرأ في أول آيتين من التوراة: **في البدء خلق الله السموات والأرض وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه** (سفر التكوين ١:١-٢).

«وما كان عيسى يصف نبياً آخر، فقد قال: **ذلك هو روح الحق الذي لا يقبله أهل الدنيا لأنهم لا يرونه، ولا يعرفونه. أنتم تعرفونه لأنه معكم، وسيكون فيكم** (يوحنا ١٧:١٤).

«لقد أبان عيسى بوضوح شديد أنّ الروح القدوس ليس مجرد سُلطة أو قوة من لدن الله؛ بل هو الله. إنّ الروح القدوس يعلّمنا (يوحنا ٢٦:١٤)، وهو يشهد لعيسى (يوحنا ٢٦:١٥)، ويذكّرنا بكلّ ما

قاله عيسى لنا (يوحنا ٢٦:١٤)، ويرشدنا إلى كل الحق (يوحنا ١٣:١٦)، ويبيّن لأهل الدنيا أنهم على خطأ من جهة الخطيئة والصلاح والعقاب (يوحنا ٨:١٦). فللروح القدوس وجودٌ شخصيٌ، واعٍ، وإلهي.

"كيف يمكن وضع كل ذلك معاً؟

«إنه فوق طاقة الإنسان أن يحوز على فهم تام لله في عظمته اللانهائية. فالإنسان ذاته، حتى في كينونته الضئيلة، معقّدٌ وصعبٌ على الفهم البشري. ولقد وصف القديس أوغسطين الرجلَ بأنه مركّب من جسم ونفس وروح، ثلاثة في واحد. هل جسمي في انتمائه إلى العالم المادي هوَ أنا حقاً؟ طبعاً هو كذلك. وهل نفسي، في انتسابها إلى العالم العقلي، هي أنا بحق؟ أجل، من غير ريب. ثم هل روحي، التي تستجيب لله، هي حقيقةً أنا؟ أجل هي كذلك. إذنْ فهل أنا ثلاثة رجال أم رجل واحد؟ واحـد.

«ولكَم هو أعمق بكثير التعقيد المحيط بالله وراء إدراك الإنسان! بيد أن الله قد أظهر نفسَه. وفي ذلك التعقّد العميق لجوهر الله، توجد ثلاثيّة. لماذا هي ليست ثنائية، أو رباعية؟ الجواب ببساطة: لأنها هي هكذا، ثلاثية! ما ينجم عن دراسة دقيقة للكتاب المقدس هو أن الله أحدٌ، لكنه ضمن هذه الأحدية الإلهية تقوم ثلاثية الجوهر. من هنا يأتي اصطلاح التثليث أو الثالوث الأقدس. وهذا أيضاً يعني أنه داخل العلاقة الإلهية الذاتيةِ الإكتفاءِ والخالدة، توجد فاعلية، أو دينامية، خالدة.

«عندما يتحدث المسيحيون عن الأب والإبن والروح القدوس، لا يقصدون آلهة ثلاثة؛ ولا هم يعنون أنّ هذا الثالوث هو مجرد ثلاث صيغ أظهر الله فيها نفسَهُ. كلا، بل الأمر أبعد من ذلك. إنّ الله سرمدياً كائنٌ في ثالوث. وجاء إلينا الإبن، كلمة الله الحي، في هيئة بشرية حينما وُلد عيسى، لكنه كان دائماً ضمن الله. ما كان الله صامتاً قبلما جاء عيسى (كلمة الله) إلى هذا العالم. كذلك كان روح الله السرمدي دائماً متحركاً؛ إنه ربُّ الحياة وواهبها.

«من غير ريب، في هذا التّثليث لغزٌ، أعظم بكثيرٍ من لغز وجودِ

الإنسان ذاته. ولكن هذا هو ما يجب أن نتوقعه من الله. يظل سبحانه فوق ووراء إدراكنا له في جوهره الكامل. إلاّ أنه قد أظهر لنا نفسه في المسيح عيسى، كلمة الله.»

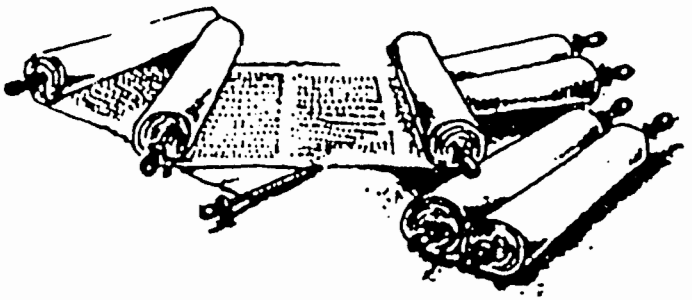

الفصل السادس

لماذا يصرُّ المسيحيُّون على حَدث الصَّلب؟

لدى المسلمين معضلةٌ عويصةٌ تتعلّق بصَلْب المسيح، وتثير أسئلةً مخلصةً حول موضوع الخطيئة وسبب حاجة عيسى إلى أن يموت تكفيراً عن ذنوب البشر. وبوسع القارئ أن يحصل على فهم أفضل لهذا الموضوع البالغ الأهميّة، إنْ هو درس الأصحاحات العشرة الأولى من رسالة عبرانيين في الإنجيل.

تختلف العقيدة الإسلامية في الخطيئة اختلافاً كثيراً عن العقيدة المسيحية فيها. يقول المسلمون انه على الرغم من أنّ آدم وحواء كانا قد أخطآ إذْ عصيا أمر ربهما، إلاّ أنهما اعترفا بخطئهما، أو ذنبهما، فغُفِر لهما. ويضيف المسلمون إلى ذلك أنّ الإثم ليس جزءاً من طبيعة

الإنسان؛ فمع أنّ الإنسان يواصل اقتراف الأخطاء، غير أنّ أخطاءه يمكن غفرانها إذا هو جاهد من أجل صلاحه الذاتيّ عبر سلسلةٍ من الحسنات ستُرضي اللهَ في يوم البعث.

يحثُّ الكتابُ المقدسُ الناسَ على إتيان الأفعال الحميدة، لكنه يعلّمنا بجلاء أنّ الأعمال الحسنة لن يمكنها أبداً أن تعالج مشكلة الإنسان الأساسية، الا وهي الخطيئة.

كتب النبي داوود في مزموره ٥١:٥: «**هأنذا بالإثم صُورتُ وبالخطيئة حبلت بي أمي**». وقال الرسول بولس، في الإنجيل، روما ٣:٢٣: «**لأن الجميع أخطأوا ولم يبلغوا إلى ما يمجّدُ الله.**»

ويسأل اشعياء «**كيف إذنْ نحن نخلص؟**» ويتابع القول: «**وقد صرنا كلنا كنجس وكثوبِ عدةٍ كل أعمال برنا وقد ذبلنا كورقة وآثامنا كريحٍ تحملنا** (اشعياء ٦٤:٥-٦).

تعطينا كلمة الله القدسية الجوابَ: «**أنقَذَنا. لم يكن ذلك بسبب أيّ أعمال صالحة عملناها، بل لأنه رحيم. فأنقذَنا بواسطة غَسل الميلادِ الثاني والتجديد الذي يعمله الروح القدوس. الذي أفاضه علينا بغزارةٍ بواسطة عيسى المسيح منقذنا**» (الإنجيل، تيتوس ٣:٥-٦).

منذ بدء الدهور، أتاح لنا الرحيمُ الكريمُ سبيلاً إلى ستر آثامنا وغفرانها. ونذكر أنّ إبراهيم، مدفوعاً بالايمان، قد أخذ ابنه ليقدمه كقربانٍ، ولكن الرحمٰن زوّده بكبشٍ فداءً لابنه.

وهنا ينطرح هذا السؤال: لماذا كان ضرورياً ذبح حيوان وتقديمه أضحيةً؟ مرةً أخرى، نرى خلال العهد القديم كله أن البشر كانوا قد أُمِروا أن يقدموا قرابينَ من الدم لتكون ستاراً لذنوبهم. بيد أننا نشهد في رسالة عبرانيين في الإنجيل، أنّ عيسى المسيح قد صار على الصليب الأضحيةَ الكاملةَ لخطايا الجنس البشري بأسره. ومنذ تلك اللحظة، أصبح بمقدور الإنسان أن يتحرر من الإثم إذا هو قَبِل صنيع المسيح التكفيري وآمن باسمه القدسيّ.

إنّ مجرد ذكر كلمتي الصّلب والصّليب يثير عاطفةً عميقةً في نفوس التابعين لعيسى. ويذهلهم أنه رغب في أن يتألم ويموت لكي يمكن للناس أن ينالوا الغفران ويتحرروا من الشعور بالذنب ومن عاقبته. إنه أمرٌ له قدسيّة وفعاليّة ضخمتان لدى المسيحيين.

يقول البعض من المسلمين إنّ عيسى لم يذهب إلى الصليب، وإنّ الجنود الرومان استبدلوه بيوداس أو أحد عداه. لو كان هذا ما حدث فعلاً، فلماذا لم يصرخ يوداس، أو الرجلُ البديل، معلناً أنّ خطأً قد وقع؟

كيف أمكن لأحد غير عيسى، وهو في غمرة آلامه الهائلة، أن يدعو الله أن يغفر لمضطهِديهِ؟ كيف أمكن أن ينطلق هذا الدعاء، المفصح عن مشاعر رحمة عميقة، من بين شفتي عابر سبيل سيق إلى الموت بديلاً عن سواه؟! كذلك كَيف حدث أنّ مريم أمَ عيسىً لم تتبيّن هذه الخدعة حين وقفت عند أسفل الصليب وشاهدت عيسى كما سمعت صوته يتحدث إليها بحنو؟ لو كان أحدٌ غيره على الصليب، أما كانت مريم لتفشي أمره؟

ثمة ثلاث نقاط ذات صلةٍ بهذا الموضوع، يجدر بالمسلمين أن يأخذوها جدياً بعين الإعتبار.

النقطة الأولى: لقد تنبأ الأنبياء القدامى بحَدَث الصلب، إذْ قال اشعياء: «**لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحمّلها ونحن حسبناه مصاباً مضروباً من الله ومذلولا. وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوقَ لأجل آثامنا تأديبُ سلامنا عليه وبحُبُره شفينا. كلنا كغنم ضللنا ملنا كل واحد إلى طريقه والربُّ وضع عليه إثم جميعنا. ظُلِمَ أمّا هو فتذلّلَ ولم يفتح فاه كشاة تُساق إلى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازّيها فلم يفتح فاه. من الضغطة ومن الدينونة أُخذ. وفي جيله مَن كان يظن أنه قُطِعَ من أرض الأحياءِ أنه ضُرِب من أجل ذنب شعبي**» (إشعياء ٥٣:٤-٨).

وقال داوود: «**يبستْ مثل شقفة قوّتي ولصق لساني بحنكي وإلى تراب الموت تضعني. لأنه قد أحاطت بي كلاب. جماعة من الأشرار**

اكتنفتني. ثقبوا يديّ ورجليّ. أحصي كل عظامي. وهم ينظرون ويتفرسون فيّ. يقتسمون ثيابي بينهم وعلى لباسي يقترعون» (الزبور، أو المزامير ٢٢:١٥-١٨).

النقطة الثانية: يؤكّد التاريخ المدنيُ حدوثَ الصّلب. كان **كورنيليوس تاسيتوس** أكبر مؤرخ للإمبراطورية الرومانية. وقد كتب يقول: «الإسم مسيحي مشتق من المسيح، الذي كان قد أعدم في عهد الوالي بيلاطس.»

كذلك كتب المؤرخ **يوسيفوس**، في المجلد ١٨، ٣:١١١: من مؤلّفه **انتيكويتاتس جودايس**: «كان عيسى في حوالي هذا الزمن؛ وكان رجلاً حكيماً، إذا جاز شرعاً أن يُدعى بالرجل لأنه كان صانع عجائب وكان يعلّم الناس أن يتلقوا الحقيقة بمسَرّة. ولقد اجتذب إليه كثيراً من اليهود ومن الأجانب. كان هو المسيح. وحينما حكم عليه بيلاطس بالصلب، بناءً على اقتراح الرؤساء منّا، لم يهجره الذين أحبوه منذ البداية؛ لأنه ظهر لهم حياً، مرة ثانية، في اليوم الثالث (من وفاته) وفقاً لما كان الأنبياء قد تنبأوا به كما تنبأوا بعشرة آلافٍ من الأمور الرائعة الأخرى التي تتعلق به.»

النقطة الثالثة: كثافة الآيات الكتابيّة التي تسجّل الصّلب. إنّ موضوع الإنجيل، أو العهد الجديد، برمته يدور حول صلب المسيح وقيامته من الموت.

يقول الرسول بولس في ١ كورنتوس ١٥:٣-٨: **«لأني تسلمت هذا، وقد سلمتُه لكم لأنه في غاية الأهمية، وهو أنّ المسيح مات من أجل ذنوبنا، كما جاء في الكتاب. وأنه دُفِنَ، وأنه قام في اليوم الثالث، كما جاء في الكتاب. وأنه ظهر لبطرس، ثم للإثني عشر، وبعد ذلك ظهر لأكثر من خمسمائة أخ كانوا معاً في نفس الوقت. ومعظم هؤلاء ما زال على قيد الحياة، لكن توفي بعضهم. بعد ذلك ظهر ليعقوب، ثم لكل الرسل. وآخر الكل ظهر لي أنا أيضاً كأني سقط.»**

أجلْ، يعطينا الكتابُ المقدس اليقينَ من أنّ عيسى كان قد صُلِبَ

ثم قام من الموت. توجد نحو خمسة آلاف مخطوطة من الإنجيل، كليّة أو جزئيّة، تشهد بصلب المسيح.

وإني أستحثُّ أصدقائي المسلمين أنْ يولوا ببحثهم الحريص لماذا كان ضرورياً أن يموت عيسى. وأقترح عليهم أن يقرأوا ثانيةً الأصحاحات العشرة الأولى من سفر العبرانيين في الإنجيل، ليعرفوا مدى أهمية صلب المسيح وقيامته.

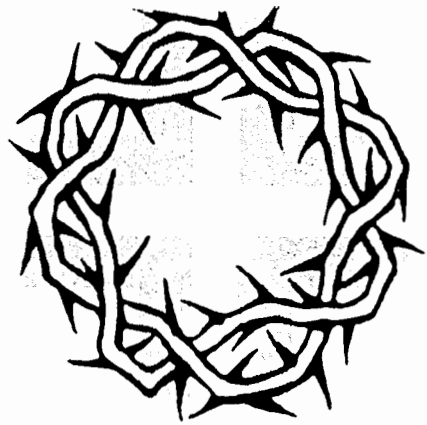

الفصل السابع

ماذا عن الحياة الآثمة لبعض المسيحيين؟

لا جدل في أنّ طراز الحياة غير القدسيّ الذي يمارسه بعض المسيحيين قد سبّب ارتباكاً كثيراً. ويقيناً انه قد نجم عنه ألمٌ بالغٌ لكل تابعٍ صادقِ الولاءِ لعيسى المسيح.

جانب من هذه المشكلة ناتج عن أنّ كثيرين من الناس يسمُّون أنفسَهُم مسيحيين لمجردِ انهم يذهبون إلى الكنيسة في المناسبات، ولكنهم قطعاً لم يختبروا تحولاً في حياتهم. إنهم لم يجيزوا أبداً للمسيح عيسى أن يغفر لهم ذنوبهم ويجعل منهم أشخاصاً متجدّدين (أنظر الإنجيل، ٢ كورنتوس ١٧:٥). ولذلك فهم يستمرون في ارتكاب الخطايا وفي اقتراف أفعالٍ ذميمةٍ، رغم أنهم يدعون أنفسهم مسيحيين. وليس هذا

الواقع سوى خزي عظيم يفضي بغالبية من المسلمين إلى أن ترتاب في المسيحيّة. وهو أيضاً مصدر إحراجٍ للأتباع الحقيقيين للمسيح عيسى.

ومع ذلك حريٌّ بنا أنْ ننوه بأنّ جميع الناس من المعتقدات الدينيّة كافةً واقعون في عبودية الخطيئة. وبعضهم يظهر تقياً باراً، تحت عباءة الدين. لقد كان الفريسيون مثل هذا البعض، وقال عيسى عنهم انهم بدوا من الخارج صالحين، بيد أنهم في داخلهم كانوا ممتلئين من الشر والنفاق (الإنجيل، متى ٢٣:٢٧-٢٨).

إنّ إقدام المرء على اتّباع عيسى المسيح هو مسألةٌ شخصيّةٌ، وليس عائداً إلى قرارٍ من جماعة أو من أمّة. لا وجود لشيء اسمه أمة مسيحية. وإنما هنالك أفراد في كل أمّة قد أعطوا عهودهم الشخصية للمسيح. وهؤلاء هم أتباعه أو هم المسيحيون الصادقون.

وهنا أشجّع أصدقائي المسلمين على أن يتأملوا نشاط وأسلوب حياة أولئك الأتباع ذوي العهد، المخلصين للمسيح. لقد أمرنا الله بأن نكون أتقياء وأن نحيا في صلاح بين الناس. وأرجو من الأصدقاء المعنيين أن يطالعوا كتاب (رحلة إلى التفاهم) لكي يتبيّنوا الفرق بين المسيحيين بالإسم، الذين ما فتئوا يعيشون في الإثم، وبين المؤمنين حقاً الذين تبدلت حياتهم بقوة المصلوبِ والقائمِ من الموت، منقذِ البشريةِ عيسى المسيح.

وأناشد في الختام أصدقائي المسيحيين والمسلمين أن يصغوا أحدهم إلى الآخر. أجل، فلتكن لهم الجراة على أن يتقاربوا وأن يفحصوا كلّ معتقدَ الآخر. ليجيبوا عن أسئلة بعضهم البعض بروحٍ من المحبة والتفاهم.

للحصول على أي معلومات إضافية

يرجى الكتابة إلى

CMM
P.O. Box 583279
Minneapolis, MN 55458-3279
U.S.A.